

الدّراسات العربيّة والإسلاميّة بالولايات المتحدة

بقلم روم لاندو
الأستاذ بجامعة فرنسيسكو
تعريب وتحليل الأستاذ محمد بن زيان

يقم الآن بمراكش عاصمة جنوب المغرب الأستاذ روم لاندو Rom Landau الكاتب الشهير المعروف بوفرة تأليفه حول المغرب في العقود الأخيرة ، وخاصة بكتابه القيم حول جلالة محمد الخامس ، ومغرب ما بعد الاستقلال ، وقد القى في الرباط محاضرة قيمة حول الاستشراف في الولايات المتحدة ، وقد تفضل جنابه فخص المجلة بهذا البحث الذي تقدم عنه شاكرين هذا التحليل الضافي :

بالبحث في فرنسا أو إنجلترا معللا ذلك بأسباب رئيسية ثلاثة وهي :

أولا : الغزو الاستعماري الذي جعل الانجليز والفرنسيين يوجهون عناية كبرى الى معرفة العرب والمسلمين ، وقد استولوا على معظم بلادهم في القارتين الأفريقية والآسيوية ، فدرسوا تاريخهم وحضارتهم وديانتهم ولفتهم ، وتكاثر عدد المستشرقين فيهم ، وظهر الاعلام والنبغاء ، الا ان معظمهم كانت لهم نزعات سياسية ، بينما لم يسبق للولايات المتحدة ان استولت على بلد عربي أو إسلامي ، فلم تكن اذن في حاجة الى معرفة العالم العربي والإسلامي .

ثانياً : بعد أمريكا عن البلاد العربية والإسلامية ومدى اتساع الولايات المتحدة التي تقدر المسافة فيها بين سان فرنسيسكو ونيويورك بخمسة آلاف كيلومتر وهي تقريبا المسافة الفاصلة بين باريز وموسكو أو بين نيويورك والمغرب الأقصى . فليس غريبا اذن ان يكون

استهل الأستاذ محاضراته معتذرا عن عدم امكانه مخاطبة الحضور المغاربة بلغة الضاد التي يقول عنها انها اغنى واقدم بكثير من اللغتين : الانجليزية والفرنسية ، وانها هي اللغة المختارة التي تحققت بها معجزة القراءان الكريم في عهد كان اهل إنجلترا وفرنسا يتكلمون بلغات ولهجات لم يكن في مستطاع مالرو أو برنارشاو ، ولا في مستطاع شيكسبير وفولتير ان يفهموا شيئا منها . ويزيد هذه الفكرة تأكيدا فيقول :

« اننا نحن الانجليز والفرنسيين لسنا سوى « اثرياء جدد » من الناحية الثقافية ، في حين انكم (اي انتم العرب) تتوفرون على لغة عريقة ، وقد تركز وجودها منذ القرن السابع الذي لم تكن تعرف فيه لا الفرنسية ولا الانجليزية » .

ويعطي بعد ذلك بيانا عن الصعوبات التي يعانيتها الباحث الذي يدرس الاستشراف في الولايات المتحدة ، خلافا لما يجده من السهولة وغزارة المادة متى قام

واذكر لكم أيضا **أرتور جفري** (Arthur Jeffrey) الذي لقي حتفه منذ سنتين فيما أظن ، وكان استاذا للغات الاسلامية بجامعة كولومبيا في نيويورك ، وقد ترك عن القراءن مؤلفات لا تخلو من الاهمية ، منها ترجمة لهذا الكتاب . الا ان اسم هذا الرجل بقي مجهولا خارج اوساط المستشرقين . ومنهم **مالك دونالد** (D. P. MacDonald) الذي اهتم خاصة بدراسة علوم الدين والفقہ دون القراءن . فالف الكثير في هذا المجال . كما نذكر في طليعة الذين تخصصوا في الشريعة الاسلامية بالولايات المتحدة **مجيد خدوري** وهو عراقي الاصل وأمريكي الجنسية . قام بتأليف عدة كتب ، نخص بالذكر منها تأليفه عن الشافعي . ونشير أيضا الى **الدكتور شاخت** (Dr Schacht) الذي نشط في البحث عن اصول الشريعة .

« وان انتم سالتوني عن وجود علماء مستشرقين في مستوى الذين عرفناهم بفرنسا او انجلترا اجبتكم بنفي وجودهم في الحالة الراهنة ، اذا كنا نقصد الاساطين والاعلام امثال الفرنسيين **كارادوفو** (Cara de Vaux) و**دوسلان** (De Slane) و**مسنبون** (Massignon) و**هانري تيراس** (H. Terrasse) ان شئتم لتضله في تاريخ الفن المعماري ، وكذلك **ليفى بروفانصال** (Lévy Provençal) ، وامثال المستشرقين الانجليز ك**السير هاملتون جيب** (Sir Hamilton Gibb) وهو من كبار المستشرقين المعروفين بالرصانة ، و**نيكولسون** (R. A. Nicholson) الذي امتاز بأعظم مؤلف عن تاريخ الادب في العالم العربي ، و**منغمري واطس** (Mongomery Watts) الذي الف كتابا عن حياة محمد في مكة ، وآخر عنه في المدينة بصرف النظر عن مؤلفاته العديدة في علوم الدين والفلسفة ، وكذا **الاندلس** . ومن الذين اخصهم بالذكر في هذا الصدد صديقي **الاستاذ اربيري** (Arberry) الذي لم يسبق لغيره في تاريخ انجلترا ان جمع بين تدريس الفارسية والعربية ، وقد انفرد في جامعة كمبريدج بهذين الكرسيين ، منذ خمسة عشر عاما ، وهو الذي اتحفنا بأبدع ترجمة انجليزية للقراءن ، كما نشر أيضا اكثر من خمسين كتابا ، من بينها ترجمات جديدة لما خلفه عمر الخيام بالاضافة الى تأليفه عن التصوف وعن ابن الرومي والشافعي ، كما قام بترجمة شعراء المغرب في القرنين الرابع والخامس عشر وابن حزم والشعراء المحدثين المصريين .

« وهذه طبقة من المستشرقين لا وجود لمن يماثلها الآن في الولايات المتحدة » .

الامريكيون قد جهلوا حتى كلمة الاسلام الذي كانوا يطلقون عليه عبارة « المذهب المحمدي » . وحسب المواطن الامريكي ان يسمى لمعرفة عالمه الخاص الشاسع الاطراف وهو يتكون من ثمان واربعين ولاية يختلف بعضها عن بعض في شتى النواحي .

اما فرنسا وانجلترا فهما رقتان صغيرتان جدا بالنسبة لذلك العالم الجبار .

ثالثا : اشتغال الولايات المتحدة باليابان والصين وروسيا والمانيا . ويقول الاستاذ روم لاندو في هذا الصدد ان الصين وحدها لها جالية بسان فرنسيسكو ، أصبحت عبارة عن اعظم مدينة صينية تعرف خارج بلاد الصين ، بينما لا يكون العرب والمسلمون في الولايات المتحدة سوى اقلية ضئيلة جدا باستثناء الجالية اللبنانية التي استوطنت منذ امد بعيد هولود ولوس انجليس ، وقد تألفت بصفة عامة من عرب مسيحيين وانطبع بطابع امريكي صرف ، فلم يقم أفرادها من جراء ذلك بالدعاية للعروبة ولا للاسلام طبعاً كما يفعل لصالح بلادهم وتاريخهم وحضارتهم غيرهم من الصينيين واليهود والفرنسيين والالمان .

وبعد هذه المقدمة اشار الاستاذ روم لاندو الى انه قضى في التدريس بجامعة سان فرنسيسكو اربعة عشر عاما ثم دخل الى صميم الموضوع فقال :

« لما وصلت الى سان فرنسيسكو لم يكن يوجد بها كرسي للتدريس خاص بالمغرب ، وكان اذ ذاك في مجموع الولايات المتحدة عدد قليل جدا من الجامعات التي تهتم بالاستشراق . وقد ادهشني الاقبال على دراسة الاسلام وعلى محاضراتي التي كانت هي الاولى من نوعها في غرب الولايات المتحدة ، الواقع على ساحل المحيط الهادئ . وكانت محاضراتي في موضوع الاسلام والمغرب العربي . والحقيقة انه كان يوجد بجامعة برينستون وهارفارد واربع او خمس جامعات أخرى كرسي للاستشراق ، وكان بعض الاساتذة يعتبرون في مستوى المستشرقين الانجليز او الفرنسيين .

« واني اشعر في الحديث عن المستشرقين بذكر الحقيقيين منهم ، اي الذين وجهوا عنايتهم خاصة للقراءن .

« ولعلكم تعرفون **ليفى دولفيدا** (Lévi de Lavidia) وهو من كبار المستشرقين الايطاليين ، وقد اشتغل بما سموه نقد القراءن ، وفيه نقد سام ونقد بسيط ، يتعلق بالتعبير والاسلوب .

ومواد التعليم في الاقسام العربية بالجامعات
الامريكية هي العلوم السياسية والاقتصادية على وجه
العموم ، علاوة على اللغة والتاريخ والفلسفة ، وكذلك
الفنون ، وان كانت هذه الاخيرة تحتل في الحالة
الراهنة مكانة تافهة .

وبناء على خبرته الواسعة في ميدان التدريس
الجامعي بالولايات المتحدة ، يذكر الاستاذ روم لاندو
ان طلاب هذه البلاد يتوقون الى الفلسفة اليونانية
والارسططاليسية منها بصفة خاصة . وبما ان ابن
رشد هو الذي يرجع له الفضل الاكبر في نقلها وتاويلها
والتوسع فيها فانهم يهتمون به اهتماما شديدا ، وهو
الناقل العبقري لعلم المنطق ، وواضع الاسس العلمية
الكبرى التي كانت سببا لانطلاق النهضة الغربية ، وقد
تطورت أوروبا بعد ذلك حتى انجبت نيوطون وآينشتاين .
كما يهتم طلاب الولايات المتحدة أيضا بسائر مفكري
الاسلام وعلماء الطب والرياضيات .

ثم يعود المحاضر الى التعليم الجامعي ويذكر
أبرز الشخصيات في مجال الاستشراق .

فمنهم الاستاذ فيليب حتي (Pihilip Hitti)
البناني الاصل الذي انشأ القسم العربي بجامعة
برينستون ، وهي الجامعة الكبرى التي قضى فيها
آينشتاين السنوات العشر الاخيرة من حياته . اما
فيليب حتي فانه معروف بكثرة ما كتبه عن لبنان
وتأليفه في تاريخ العرب العام .

ومنهم الاستاذ الامريكي كارلتون كون
(Carleton S. Coone) الذي يشيد به المحاضر باعجاب
كبير ، ويقول عنه انه شغل كرسي علم الآثار والانسان
في جامعة هارفارد قبل ان يشرف على احد المتاحف
الكبرى . ومن اهم ماثره ابحاثه القيمة وتأليفه العظيم
عن البربر الذي يضعه الاستاذ روم لاندو في طليعة ما
كتبه في هذا الموضوع العلماء الانجليز أو الفرنسيون .
وقد ألف كتابا آخر بعنوان « القافلة » تكلم فيه عن
البربر وعن الفرس والأتراك واليهود .

ومنهم الاستاذ كويلريونج (Cuyler Young)
خلف الاستاذ حتي في جامعة برينستون ، وله دراسات
خاصة عن تركيا .

ومنهم الاستاذ جورج رانتز (George Rentz)
بجامعة ستانفورد الذي يتقن لغة الضاد اتقاناً عجيباً
وقد شارك في الموسوعة العربية بمقال رائع حول
جزيرة العرب . وتوجد في نفس الجامعة الدكتورة
كريستينا هاريس (Dr Christina Harris) ولها اختصاص
في المسائل المصرية .

ثم يواصل المحاضر عرضه عن تطور الاستشراق
في هذه البلاد ، ويركز الكلام على ما سماه بالدراسات
« الاكاديمية » ، فيذكر ان الولايات المتحدة قد انشأت
كراسي لهذا النوع من التدريس في سبع عشرة جامعة،
اشهرها : جامعة برينستون ، وشيكاغو ، وميشيكان ،
وبالتيمور ، وبالاخص هارفارد التي هي اقدم جامعة
امريكية حيث انها اسست منذ سنة 1636 - اي بعد
ان حل الانجليز بأمريكا بست سنوات . وكان المشرف
اخيراً على الاستشراق في هذه الجامعة الهامة ، هو
الاستاذ الانجليزي السير هاملتون جيب الذي لم يأل
جهدا في الاعتناء بنشر الثقافة والعلوم الاسلامية .

ومما يدل على هذا الاعتناء وكذلك على اقبال
الامريكيين على الاستشراق ، ان السير هاملتون جيب
طلب في سنة 1960 من الاستاذ روم لاندو ان يقدم
من سان فرانسيسكو الى هارفارد لاقاء محاضرة حول
فلسفة ابن العربي ، فلبى الاستاذ الدعوة وقطع مسافة
خمس آلاف كيلومتر وتحدث امام عدد كبير من
الاساتذة والطلاب المتقدمين ، ووجد من بين الحضور
طائفة جاءت للاستماع والاستفادة من واشنطون
ونيوورك ، وقد نظمت بعد المحاضرة حفلة عشاء
القيت فيها الخطب « ولم يكن هذا كله لا على شرف
كارل ماركس ولا شوبنهاور ولا ديكرت ولا افلاطون ،
وانما كان على شرف فيلسوف يجهله المسلمون
انفسهم على وجه العموم (كذا) » .

وبالإضافة الى الجامعات السبع عشرة المذكورة
أشار المحاضر الى جامعة هارفورد وهي مؤسسة
دينية قديمة تمتاز بما تقوم به من النشاط في ميدان
المقارنة بين الاسلام والمسيحية . كما لفت النظر الى
وجود قسم عربي في جامعة ماكسوال ولاية الاباما وهي
مؤسسة انشئت في قاعدة خاصة للطيران ، وذلك
زيادة على ما يوجد في الولايات المتحدة من مدارس
عسكرية تقرر تعليم العربية فيها كمدرسة موتري
بكاليفرنيا وغيرها . اما خارج الولايات المتحدة فقد
اسست منذ قرن جامعة امريكية هامة في بيروت ،
واخرى في القاهرة ، وثالثة في مدينة طنجة بالمغرب منذ
ثلاث سنوات ، يقضي فيها الدبلوماسيون الامريكيون
عاما أو عامين ، وهم يعملون ستة أيام في الاسبوع ،
وثمان ساعات في كل يوم .

ثم ان الحكومة الامريكية جادة في العمل على
تشجيع دراسة اللغة العربية في المستوى الجامعي ،
فبلغ عدد المنح المخصصة لذلك حاليا 900 منحة ، ولم
يعرف لهذا القدر سابق .

ومنهم الاستاذ فائز الصايغ الذي ألف كتباً عديدة في مواضيع سياسية عربية .

أما المصنفات التي نشرت باللغة الانجليزية في الولايات المتحدة ، فنذكر من بينها مقدمة ابن خلدون في ثلاثة اجزاء ، ورحلة ابن بطوطة ، وغير ذلك من التأليف التي ألفها بعض المحدثين أمثال طه حسين وعلال الفاسي الذي ترجم كتابه في « تاريخ الحركات الاستقلالية في المغرب العربي » وادريس الشرايبي الذي ظهرت طبعة أمريكية لقصته الفرنسية « الماضي البسيط » ومحمد اقبال الفيلسوف الباكستاني الشهير الذي يتمتع بنفوذ كبير في اوساط المستشرقين .

وأما كتب خليل جبران فانها نقلت الى اللغة الانجليزية ولقيت اقبالا عظيما بحيث أصبحت تباع بمئات الآلاف ، ولا سيما كتابه المشهور الذي صدر تحت عنوان « النبي » .

وهناك كتب أخرى ألفت حول المغرب العربي إلا أن معظمها يمتاز بصيغة سياسية ، ونذكر من بين مؤلفيها السادة : دوغلاس اشفورد (Douglas Ashford) وشارل كالاهير (Charles Gallagher) ولورنا هاهن (Lorna Hahn) وريشار براس (Richard Brace) وداود كوردون (David Gordon) وشارل ستيوار (Charles Steward) وبول بولس (Paul Bowles) وهو أمريكي يقيم بمدينة طنجة ، وقد نشر عدة قصص تتعلق بالمغرب والجزائر .

وأخيراً أشار الاستاذ روم لاندو في محاضراته الممتعة الى المراكز والاندية الإسلامية التي يقول عنها أنها تركزت في نحو عشرين مدينة أمريكية ، وأن المترددين عليها من مسلمين وغيرهم من الذين اعتنقوا الإسلام ينظمون الحفلات الدينية والمحاضرات ، كما يقيمون الصلوات في مساجد شيدت لذلك ، ومن بينها خصوصاً مسجد واشنطن الذي يمتاز بسعته واناقة وأبهته .

ومنهم الاستاذ الكندي كانتول سميت (Cantwell Smith) وهو مشغل في جامعة برينستون بدراسة الإسلام في باكستان .

ومنهم غوستاف فون كرونبروم (Gustave von Grunebaum) وهو يهودي ألماني يشغل في جامعة كاليفرنيا بلوس انجليس كرسي اللغة العربية .

ومنهم ويليام يال (William Yale) وسيدني فيشير (Sidney Fisher)

وفيما يخص خزانات الكتب فإن للولايات المتحدة ثروة تضاهي ثروة استنبول ومدريد ، ويوجد أهمها بجامعة برينستون وهارفارد ويال ، وهي غنية بالمخطوطات النفيسة والتادرة الوجود .

ومن جملة ما ينشر في الولايات المتحدة مجلتان لا تقلان أهمية عن المجلات الانجليزية والفرنسية : احدهما ذات صبغة سياسية يصدرها واشنطنون معهد الشرق الاوسط أربع مرات في السنة وهي ، وان كانت تحمل عنوان «مجلة الشرق الاوسط» فانها تشمل العالم العربي كله بما تدونه عنه من الاخبار التي تكاد تكون يومية ، الى جانب ما يأتي فيها من نقد للكتب المتعلقة بالاستشراق .

والثانية مجلة « العالم الاسلامي » التي تصدر في هارتفورد ، ولها صبغة فلسفية ودينية .

ولقد عرفت الجامعات الامريكية طائفة من الاساتذة والكتاب العرب الذين استوطنوا الولايات المتحدة واتخذوا الجنسية الامريكية ، منهم الاستاذ خدوري العراقي الاصل ، والاستاذ حتي اللبناني ، اللذان سبق ذكرهما .

ومنهم الاستاذ شارل عيسوي بجامعة كولومبيا في نيويورك ، والعراقي السيد محمد المهدي الذي كان يدرس اللغة العربية في سان فرانسيسكو ، وهو الآن مشغل بالقضية الفلسطينية التي يعد احد زعمائها في امريكا .

ومنهم الاستاذ الهواري السوري الذي يعمل بجامعة آن اربور (Ann Arbor) بولاية ميشيگان ، وقد قام بأبحاث قيمة حول الغزالي .